العقيدة والإنسان

● ● طبيعة الانسان فيها استعداد فطري لمعرفة الله وهذه النظرية متأصلة في الانسان

● ● العقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة وهي أساس قيام المجتمع وأساس صلاحه أو فساده

● العقيدة مأخوذة من العقد. والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة، كعقد الحبل، وعقد البناء. وتوسع في العقد فاستعمل في المعاني كعقد البيع، وعقد النكاح. كأنه ربط بين أجزاء. ويقال عاقدته، وعقدته، وتعاقدنا، وعقدت يمينه. والعقيدة تعني الارتباط بين القلب البشري، وفكرة أو رأي أو منهج معين. وان هذا الارتباط يتميز بالوثاقة والقوة والأحكام، كما يتسم بالثبات، والاستمرار والاستقرار.

والعقيدة هي الأمر الذي تثق به النفس، ويطمئن اليه القلب، ويكون يقينا عند صاحبه ولا يمازجه شك، ولا يخالطه ريب، فالعقيدة مجموعة من قضايا الحق المسلم بها بالسمع والعقل والفطرة. يعقد عليها الانسان قلبه، ويثنى عليها صدره، جازما صحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها.

□ ويذكر العقاد: اننا نعني بالعقيدة الدينية طريقة حياة، لا طريقة فكر، ولا طريقة دراسة. انما نعني بها حاجة النفس، كما يحس بها من احاط بتلك الدراسات، ومن فرغ من العلم والمراجعة، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره. انما نعني بها ما يملأ النفس لا ما يملأ الرؤوس، أو يملأ الصفحات.

ان العقيدة التي يصح ان توصف بالعقيدة الدينية هي التي لا يستغني عنها من وجدها، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها، ولا يرفضها من أعتصم منها بمعتصم، واستقر فيها على قرار.

واذا كان القرآن الكريم لم يذكر كلمة **«عقيدة»** وذكر مادتها اللغوية. فان القرآن الكريم ذكر حقائق أساسية كبرى هي في مجموعها موضوع ما يسمى بالعقيدة أو العقائد.

وفي مجال العقيدة أو العقائد جاء القرآن بكلمة **«الايمان»** وللقرآن الكريم طريقته الخاصة في عرض الحقائق وهي طريقة تصلح في آن واحد للخاصة من الناس، والعامة منهم.

ثم انه اذا كانت كلمة العقيدة تعني الربط والتوثيق، فان كلمة الايمان تعني **«الربط والتوثيق مضافا اليها ما يطمئن اليه القلب، ويقتنع به اقتناعا ذاتيا ونفسيا»**.

وهذه الحقائق الأساسية عرضها القرآن على الناس، وأيدها بالأدلة والشواهد. ودعا الى تصديقها والايمان بها. وكرر ذكرها بأساليب شتى، وطرق متعددة. وهي التي تؤلف جو القرآن العام. والأساس الذي تتفرع منه قواعده الخلقية، وأحكامه التشريعية. لا تنفصل عنه أبداً. وهي القاعدة الفكرية التي أراد الله أن يقيم عليها بناء الانسان وتكوينه. ولقد دعا القرآن بالحاح الى الايمان بهذه الحقائق الكبرى، دعا الى الايمان بالله خالق الكون، وبالحياة الآخرة، التي تتجلى فيها مسؤولية الانسان، ويتحدد مصيره الأبدي، وبالنبوة والوحي طريقا الى معرفة الحقائق التي يريد الله ان يلقيها الى الانسان. سواء أكان موضوعها عالم الغيب أو حقائق ما وراء المادة أم كان توجيه الانسان وتنظيم شؤونه في هذه الحياة.

ومما لا يخفى على الانسان: ان هناك نوعا آخر من الحقائق اشتمل عليها القرآن الكريم ووردت فيه على انها طريق الى الحقائق الأساسية - من الايمان بالله وبالحياة الآخرة وبالنبوة والوحي - ووسيلة للوصول اليها، ولكنها تتكرر من سور القرآن في صور وأشكال شتى مرافقة للحقائق الأساسية. لتأييدها ودعمها، ويشتمل هذا النوع على مشاهد الكون

بقلم الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح
أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر
عضو اتحاد الكتاب في جمهورية مصر العربية

في القرآن الكريم بآفاقه الواسعة، وأنواع مخلوقاته المختلفة، وحوادثه المتبدلة، وسننه المطهرة، ويشتمل بوجه خاص على حياة الإنسان في خلقه وتكوينه وميوله وغرائزه في أجياله المتعاقبة. ومن عرف الحقائق الأساسية الكبرى والحقائق الأخرى التي جاءت شواهد على الحقائق الأساسية استطاع أن يخرج بفكرة شاملة عن:

- نظرة الإسلام الى الوجود: وجود الخالق، ووجود العالم المخلوق: الكون والانسان.

- نظرة الإسلام الى الصلة بين الله والكون، وبين الله والانسان، وبين الكون والانسان.

ويتكون من مجموع ذلك عقيدة كاملة، ونظرة شاملة، وهذه العقيدة لا تتطلب تجربة كبيرة للايمان، ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة.

فالتصور الإسلامي يقوم على أساس ان هناك الوهية وعبودية: **الوهية ينفرد بها الله سبحانه، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه، وكما ينفرد الله سبحانه بالالوهية كذلك ينفرد - تبعا لهذا - بكل خصائص الالوهية.. وكما يشترك كل حي، وكل شيء بعد ذلك في العبودية كذلك يتجرد كل حي، وكل شيء من خصائص الالوهية، فهناك اذن وجودان متميزان، وجود الله. ووجود ما عداه من عبيد الله، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق، والاله بالعبيد.**

واذا كان الأمر - كما عرفنا - فما مكان الانسان من الكون كله؟ ما مكانه من هذه السيارة الأرضية بين خلائقها الأحياء ؟.

ما مكانه بين أبناء نوعه البشري ؟ وما مكانه بين كل جماعة من هذا النوع الواحد، أو هذا النوع الذي يتألف من جملة أنواع يضمها عنوان «**الانسان**»؟ وهي أسئلة لا جواب لها في غير «**عقيدة دينية**» تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه، وصفوة ايمانه بغيبها المجهول. تجمع له زبدة الثقة بعقله، وزبدة الثقة بالحياة: حياته وحياة سائر الأحياء والكون.

وأنت تجد ان القرآن الكريم يخص من هذا الكون مخلوقا هو الانسان، فيتحدث عنه مرات كثيرة، بل يخصه بالمخاطبة، لانه هو المقصود، ولكنه في الوقت نفسه يشعره بموقفه من هذا الكون.

فالانسان أولاً: نوع من أنواع أخرى في هذا الكون، يشترك معها في أمور، ثم يتميز عنها، فهو مخلوق من تراب في الأصل. قال تعالى: **﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾**، وقال تعالى: **﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾**، وقوله تعالى: **﴿فانا خلقناكم من تراب﴾**، وقوله تعالى: **﴿ومن آياته الى خلقكم من تراب﴾**.

ويقول بهذه المناسبة «الكسيس كاريل» في كتابه «**الانسان ذلك المجهول**» بعد أن بين المقابلة بين المواد الكيماوية والتي يتركب منها الجسم البشري، والتي يتكون منها التراب بمختلف أنواعه يقول: ان الانسان مخلوق من تراب بالمعنى الحقيقي الحرفي لهذه الكلمة وقد جاء في الآية قوله تعالى: **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾**.

والانسان ثانياً: نوع من أنواع الحيوانات يدخل في تصنيفها ويشترك معها في أمور. قال تعالى: **﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾** وقال تعال: **﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾** وقال تعالى: **﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم﴾**.

والانسان ثالثاً: نوع متميز عن الحيوان كما يبدو من قوله تعالى: **﴿ثم انشأناه خلقا آخر﴾**. وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمي. كما تشير الآيات أكثر من مرة الى تسويته: ثم سواه «....» فاذا سويته «....» فسواك فعدلك «...» والى جعله: «في أحسن تقويم»، وتميزه كذلك من جهة العقل والعلم الناميين بسبب الحواس كما تشير الى ذلك الآية: **﴿والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾**، وكما تشير الآية الأخرى: **﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾**، وهو علم يستطيع ان يعبر عنه: **﴿خلق الانسان علمه البيان﴾**، بل هو علم قابل دائما للنمو والزيادة، **﴿وقل رب زدني علما﴾**، **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾**.

والانسان رابعا: يتميز بجانب روحي، اشارت اليه آيات كثيرة، كقوله تعالى: **﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾**، وقوله تعالى: **﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾**، وهو الجانب الذي رفع مرتبة الانسان وجعله في مقام من التكريم فاسجد الله له الملائكة، **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾**، وعلى تنمية هذا العنصر من الانسان بنى الحافظ والمحدث الحكيم الترمذي، وغيره من علماء السلوك نظريتهم في ترقية الانسان في مدارج الرقي الروحي نحو الله.

وفي القرآن بعد هذا آيات كثيرة، في ذكر نفسية الانسان وما يميل اليه من زينة الدنيا وشهواتها، وما يضطرب فيها، من مختلف المشاعر والعواطف وما فيه من الصراع الدائم الذي ابتدأ منذ قصة آدم ولا ينتهي الا بانتهاء قصة الانسان كلها على هذه الارض، وفيه آيات أخرى لتوجيه الانسان في هذه الميول والمشاعر، وفي ذلك الصراع المحتم.

والاعتقاد شيء مركوز في النفس، مستقر في قلب الانسان لا يستطيع ان ينكره فالنفس أو الفطرة خلقها الله تعالى وأودع فيها هذا الاتجاه الى الخالق. وان الانسان مهما ابتعد عن منهج الله، فلن يستطيع ان يغير فطرته. قال تعالى. **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾**. وقال تعالى: **﴿ونفس وما سواها فألهمها**

العقيدة والانسان

الدين الإسلامي عقيدة شاملة لتنظيم الحياة وتفسيرها واستجابة لحاجات النفس الإنسانية

فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾. فعاطفة الاعتقاد أمر غريزي ومشترك بين الناس عامة في كل عصر ومكان. فانه لم تخل جماعة من الناس في أي زمان من عقيدة دينية على نحو ما، واذا كان الدين والاعتقاد أمرا غريزيا وفطريا في الانسان في كل زمان، فان الاسلام هو الدين الحق الذي رضيه الله تعالى للناس جميعا.

فالانسان لا غنى له عن الدين، لانه يحسه في نفسه شعوراً ووجدانا ويشير الى هذا الشعور والوجدان ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، ان الرسول الله ﷺ قال: **(ما من مولود الا يولد على الفطرة)**. وقول الله عز وجل: ﴿**واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون**﴾.

ففي هذه الآية يبين الله تعالى انه اخرج من صلب آدم وبينه ذريتهم، نسلا بعد نسل، وجيلا بعد جيل، وذلك قبل خلقهم في الدنيا، واشهدهم على انفسهم قائلا لهم: ﴿**ألست بربكم**﴾ ﴿**فاجابوا**﴾ ﴿**بلى شهدنا**﴾، بذلك فالله سبحانه وتعالى اشهدهم على ربوبيته حتى لا يقولوا يوم القيامة: ﴿**انا كنا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين**﴾.

فطبيعة الانسان فيها استعداد فطري لمعرفة الله، وهذه النظرية متأصلة في الانسان، وموجودة منذ الازل في أعماق روحه. ومن هنا كان الاعتقاد أمراً لا بد منه، وان الدين الحق رحمة للناس جميعاً، على اختلاف عقولهم وقدرتهم على التفكير، وانه هدى ونور وان العلم لا يغني عنه شيئا، فالاعتقاد أو الدين عنصر ضروري والانسانية بحاجة اليه للكمال النفسي والروحي فالانسان جسم وروح والجسم يتغذى بالطعام والشراب، بينما تتغذى الروح بالايمان والعقيدة، وعلى ذلك فالاسلام منهج شامل لأمور الدنيا والآخرة، محقق لمصالح الفرد والجماعة، قوامه الشريعة والعقيدة والاخلاق، فليس دينا فقط، ولكنه دين ونظام حياة، لا تنفصل فيه العلاقة بين الله والانسان عن الصلة بين الانسان والانسان، وهو ينظمها جميعاً، فالدين الاسلامي عقيدة شاملة لتنظيم الحياة وتفسيرها واستجابة لحاجات النفس الانسانية، ومشعل يضيء الطريق امام الناس، ويبلغ بهم غايات السعادة والاستقرار، ووسيلة لتقدم العلاقات العامة والخاصة.

ومن يتأمل العقيدة الاسلامية، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة ان من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيرا من المفكرين. والحقيقة التي اثبتتها مئات السنين الحافلة بالاحداث والخطوب والمحن، رعاية للروح والجسد، وعمل للدنيا والآخرة، وجهاد في السلم والحرب، ودستور للحاكم والمحكوم وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم، على خير ما يمكن أن يكون التنظيم.

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وتطهر نفسه، وللمجتمع ليستقر، ويتماسك، ويترفع وينهض. فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح، تحوله يمينا وشمالا فلا يسكن له حال، ولا يستقر له قرار وليس له جذور تثبته، والمجتمع بغير عقيدة مجتمع غاية، وان ظهرت له بوارق الحضارة فهو مجتمع تعاسة وشقاء، وليس له غايات وأهداف، وأهله يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

وقد كانت العقيدة الأسلامية ايذانا بمولود مجتمع يخالف المجتمعات الى ان جعلت أساس مجتمعاتها الجنس أو القبيلة أو السلالة أو الاقليم أو اللغة بخلاف الاسلام الذي جعل أساس مجتمعه العقيدة.

والعقيدة قوة لا تكافئها قوة في ضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، فالانسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بان حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يوضع في يده ولا عنقه، ولا يجري في دمه، ولا يسري في عضلاته وأعضائه، وانما هو معنى اسمه **«العقيدة»** ومن هنا كان الانسان مقودا ابداً بفكرة صحيحة أو فاسدة، فاذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شيء وان فسدت فسد كل شيء.

أجل: ان الانسان يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات، بكافيين وحدهما لاقامة مدينة فاضلة، تحترم فيها الحقوق، وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل، فان الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية لا يلبث ان يهمله متى أطمأن الى انه سيفلت من طائلة القانون. ومن الخطأ البين ان تظن ان في نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء، وعوضا عن التربية والتهذيب الديني والخلقي ذلك ان العلم سلاح ذو حدين ويصلح للهدم والتدمير، كما يصلح للبناء والتعمير، ولا بد في حسن استخدامه من رقيب يوجهه لخير الانسانية وعمارة الأرض، لا الى نشر الشر والفساد ذلكم الرقيب هو العقيدة والايمان.

فالعقيدة الاسلامية تعبر عن حاجات النفس الانسانية في مختلف ملكاتها ومظاهرها ومن هنا تتبع حاجة البشر الى الدين من طبيعة الانسان نفسه، فقد خلقه الله تعالى، ومنحه طبيعة الكائن المتكيف وعلى ذلك فحاجة الانسانية الى الدين نزعة فطرية وأصلية ركبت فيه، وفطر عليها.

والعقيدة هي أساس قيام المجتمع. وأساس صلاحه أو فساده بل هي أساس بقائه واستمراره لذا كانت حاجة الانسانية الى السلام عقيدة وسلوكا، وذلك لانه يصرف النفوس عن شهواتها، ويعطف القلوب عن ارادتها.